في جميع المذاهب. فهي من الشعور المتواترة المجمع عليها. فتضعيفها لا يحتمل الذهاب إليه ولا القول
به. وأما القدح فيها فقدح في المتواترات الضرورية. وبخصوص التي تبلغ هذه المرتبة من القوة والشهرة
والذيوع لا يضرها بل لا ينقص من قيمتها أن يطعن في بعض رجالها أو في بعض أسانيدها أو في بعض ألفاظها
بل لو كانت هذه الروايات بهذه الأسانيد الكثيرة المتواترة كل منها رواية منها ضعيفة بمفردها
لكانت بمجموعها صحيحة ثابتة واجبا العمل والأخذ بها لتواترها وكثرتها وشيوعها لأن المتواترات لا يلزم
أن يكون سند كل لفظة منها صحيحا ثابتا. وهذا شيء معقول مفهوم مجمع عليه عقلا ودينا. فلو صح ما ذكره
المخالف من القدح في الأسانيد التي ذكرها لما اقتضى ذلك بأن يكون أصل المتن … وهو المبني على اليقين والعلم
البائن - ضعيفا أو باطلا.

ثم نقول ثانيا: هؤلاء الرواة الذين ذكرهم الناظم وزعم أنهم ضعفاء مجروحون … أنهم ثقات
اتفقت كلمة الجماهير من المحدثين والنقاد وصيارفة الحديث على أنهم عدول أثبات فقبلوهم ووثقوهم
وصححوا أحاديثهم وعملوا بها وخرجوها في كتب الصحاح واحتجوا بها وأجمعوا مخالفيهم … وجعلوا
الإجماع عند … والخلاف وحكموا وقضوا بها … فيها بلا نكير ولا اعتراض من علمائهم ولا من علماء
النقد … وهذا شيء لا ريب فيه. فهم ثقات أئمة عند الجماهير من السواد الأعظم من علمائهم ومن أئمة
شيوخ الجرح والتعديل. أما الجرح أو النقد الذي قيل فيهم فشيء خفيف قاله بعض المحدثين لا يقضي أبدا
باطراح حديثهم ولا يرده ولا يزيفه. فإن من هذه الجروح التي وجهت إليهم أنهم أخطأوا في أحاديثهم
كان يرجع في … وأنه أخطأ … كان يلحن في الكلام وأنه … وأنه غلط في بعض رواياته
وأنه … أحاديث منهم كان … أي مقربا لعثمان أو علي … فهذه المقادح الخفيفة وأمثالها لا
لا يصح أبدا أن تكون خاصة بتضعيف من قيلت فيهم ولا أن تكون خاصة باطراح أحاديثهم بعد …
… وقد وثقهم وصحح أحاديثهم جماهير النقدة والمحدثين. وأنت تجد أن بعض الذين
قد جرحوا في هؤلاء الرواة هذه المقادح قد حكوا عنهم توثيقهم. وهذا لأن مقادحهم هذه لا يريدون
بها كلها أن يطرحوهم من الحساب. كلا … يستبعد أحاديثهم عن الصحاح ولا لا يرجع إلى رواياتهم في شيء
فمن الظلم وقلة الإنصاف أن يذهب إلى تضعيف هؤلاء الأئمة العدول الأثبات عند الجماهير من علماء
النقد وأهل الحديث لأن بعضهم قيل فيه بعض الكلمات الدالة على النقد والتضعيف. فهذا المذهب
ليس من العدل ولا من المنطق الذي أمر الله باتباعه بأن يكونوا قوامين … الإنصاف الذي تفرضه
العقول السليمة … من المنطق الذي ينتجه البحث الصائب أو ينتج هذا البحث الصائب. ولو أن كل
رجل … لنقد خفيف طرح وطرح حديثه وعلمه لأوشك ألا يبقى لنا أحد من
الرجال ولأوشك أن لا نقبل رواية أحد ولا حديث محدث ولا علم عالم. وإذا كان مثل وكيع بن الجراح
وسفيان الثوري وحبيب بن أبي ثابت ضعيفا مطرح الحديث فأي رجل … ثقة بعد هؤلاء؟ أو أي راو
يقبل حديثه … ويوثق في نقله وعلمه؟ هؤلاء من أئمة المحدثين ومن أساطين المؤلفين في الحديث
والصدق والديانة. فإذا ضعفوا إطلاقا ورد حديثهم إطلاقا … فكيف أن يقبل حديث في الدنيا
ولم يمكن أن يكون غيرهم ثقة ثبتا ولم يمكن أن … يطمأن إلى النقل والرواية
وهذا … لا … الدين والعلم والبحث.

ونقول ثالثا: أصحاب الصحاح مثل البخاري ومسلم وغيرهما ممن اشترطوا الصحة والثبوت لما يخرجونه من الأخبار
إذا رووا حديثا عن رجل حصل عنده تغير أو ضعف في حفظ أو نحو ذلك من المقادح اللينة التي
لا تقضي باطراح الرواية عنه البتة فمعنى ذلك أن تكون روايتهم عنه الحديث الذي رووه … وقت
في … إنما كانت في الوقت الذي لم يكن … ساء حفظه فيه ولا وقع التغير
والاختلاط. وهذا شيء معروف مشهود. فإن الرجل يكون ثقة ثبتا ويكون حديثه صحيحا في وقت من الأوقات
ثم يحصل له تغير أو اختلاط أو ضعف حفظ أو شيء من هذا النوع فلا يكون حديثه … الذي يحدث
به بعد ذلك صحيحا بل تنقسم الرواية عنه قسمين: قسما صحيحا مقبولا وهو ما حدث به ورواه في
حال سلامته من الأشياء المذكورة. وقسما مشكوكا فيه وهو ما رواه أو حدث به بعد ذلك
… ولا أن حديثه ضعيف إطلاقا كما لا يقال: إنه ثقة ثبت …
وهذا لا يقال: إنه ضعيف … ولكن يقال بالتفصيل والتقسيم ويعطى كل شيء حقه وحظه من القبول والرد. وقد روى أصحاب
الصحاح عن جماعة هم من هذا القبيل ولكن روايتهم عنهم إنما كانت في حال سلامتهم من هذه